الحركات الجهادية والحصاد الحلو

بقلم أبي سعد العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

تعقيباً على مقالات نشرت في إحدى المنتديات الحوارية على الأنترنت بعنوان " الحركات الجهادية.. والحصاد المر" - حسب زعم الكاتب - كتبت هذا المقال الذي سميته "الحركات الجهادية والحصاد الحلو"، كون هذا الموضوع خطير وحساس ويمسنا جميعاً من قريب، كما يمس العمل الإسلامي وخاصة العمل الجهادي المبارك، الذي ظُلم من طرف أبناء جلدتنا أكثر مما ظُلم من قبل أعدائنا.

فصاحب كتاب "الحصاد المر" أيمن ظواهري، الذي اقتبس منه صاحبنا هذا العنوان، لم يقصد من عنوانه حصاد الحركات الجهادية، بل قصد حصاد حركة الإخوان المسلمون، وهو الخط المضاد والمناهض لخط الجهاد.

قبل التطرق إلى الموضوع مباشرة لابد من البدء بهذه المقدمة كتمهيد، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الحديث عن الحركة الاسلامية حديث ذو شجون، ولابد من الوقوف في البداية إجلالاً واحتراماً لهذه الحركة بسبب ما قدمته من مجهودات وتضحيات جسيمة في سبيل العودة بالأمة إلى أصلها المتمثل في تحكيم شرع الله عز وجل.

بالرغم من غياب مرجعية سياسية تناسب واقع هذه الحركة الفتية، فقد قامت ووجدت أمامها مستجدات لم تعشها الأمة من قبل:

- غياب الخلافة الاسلامية لأول مرة في تاريخ الأمة،

- دخول الاستعمار الكافر والاستيلاء على أراضي وثروات الأمة،

- تنصيب حكومات عميلة موالية لهذا الاستعمار على بلداننا طبقت قوانين مقتبسة من قوانين الإستعمار الكفرية مع رفع شعار الاسلام دين الدولة،

- انتشار الفكر الإرجائي في الأمة على المستوى العقيدي، وانتشار ثقافة التبعية والتغريب على المستوى الثقافي والاجتماعي،

- التحام الحكام والعلماء -لأول مرة في التاريخ الإسلامي - على محاربة وتمييع مبادئ الإسلام، وإخراج دين مزيف للناس على غرار "ما لله لله وما لقيصر لقيصر" وهو فصل الدين عن الدولة والاكتفاء بالطقوس التعبدية.

- سيطرة العلمانيين والمستغربين على مراكز الحكم في بلداننا وعلى كل وسائل الإعلام والتربية والتوجيه.

أمام هذا الواقع الجديد، حاولت الحركة الاسلامية - في بداية مسيرتها - استعمال أسلوب الدعوة ونشر الإسلام بوسائل الوعظ والإرشاد، بواسطة علمائها ودعاتها، فكانت النتيجة وخيمة للغاية بالرغم من انتشار المفاهيم الإسلامية في أوساط الشعوب، تلخصت في اعتقال الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية وقتل المئات بل الآلاف من قياداتها في سجون الأنظمة المرتدة، هذا فضلاً عن تشريد وتهجير الآلاف منهم خارج أوطانهم من أجل قطع الصلة بينهم وبين الناس.

وفي أواخر الستينيات من هذا القرن، وبعد إقدام النظام المرتد في مصر على قتل الشهيد سيد قطب ومن كان معه، تولد التوجه الجديد في الحركة الإسلامية المعاصرة، وهو ما اصطلح عليه فيما بعد بالعمل الإسلامي الجهادي أو التوجه الجهادي.

فقد كان هذا التوجه تحصيل حاصل في البداية، لأنه كان رد فعل مباشر على تعامل الأنظمة العنيف والدامي مع الحركة الإسلامية وكل رموزها، يمكننا تسميته برد الفعل الدفاعي أو محاولة الثأر.

لم تكن الرؤية الشرعية قد توضحت واكتملت بعد لدى هذه الحركات الجهادية، لكنها كانت تمتلك القناعة التامة بأنه السبيل الشرعي الوحيد للقضاء على هذه الحكومات الكافرة وتطبيق شرع الله في الأرض. وفيما بعد اكتملت هذه الرؤية وتوضحت وأنتجت هذه الجماعات الجهادية بحوثاً قيمة شرعية تبين بوضوح مدى شرعية التوجه الجهادي القتالي ضد الحكومات المرتدة لإقامة الدين.

في الجهة المقابلة واصل التيار الإصلاحي الدعوي - إذا صح التعبير - عمله في الساحة معتمداً أسلوب الوعظ والإرشاد ومحاولة الانغماس في المجتمعات من أجل تربية الناس

واستقطابهم لصفوفه، أدى به الأمر إلى تبني العمل السياسي والمشاركة إلى جانب الأحزاب العلمانية المرتدة للدخول إلى البرلمانات التشريعية ثم - لم لا - أعضاء في الحكومات المرتدة.

شبهات داحضة :

أبدأ بالتعقيب مباشرة على ردود صاحب مقالات "الحركات الجهادية.. والحصاد المر" وهو في الحقيقة رد على أصحاب اتجاه محدد في ساحة العمل الإسلامي المعاصر، اتجاه يؤمن بأن العمل الجهادي القتالي سابق لأوانه في هذه المرحلة من عمر الأمة ومن عمر الصحوة الإسلامية المباركة، وهم ينطلقون من إشفاقهم على جهود الحركة الإسلامية من الضياع، وحرصاً منهم على إهدار دماء أبنائها وأعمارهم فيما لا طائل من ورائه، سوى حصاد الخسائر والهزائم والسجون والمعتقلات والتهجيرات والمزيد من الحصار على هذه الدعوة من قبل أعدائها..، وهو حصاد مر في نظرهم. هذه هي بعض مبرراتهم التي يواجهون بها أصحاب الاتجاه الجهادي وكل من يتعاطف معهم أو يؤيدهم.

طرح كاتب المقال "سؤاله الأول: "هل من الحكمة رفع السلاح في مثل هذه الظروف...؟ وضد من؟ " ثم أجاب بسرعة فائقة:

الجواب: حمل السلاح في مثل هذا الوقت يعد من وجهة نظر سياسية (انتحار سياسي). وذلك للأسباب التالية:

1- قلة الوعي بين معظم أبناء الأمة." انتهى.

أقول: بادئ ذي بدء، يبدو أن الأخ الكاتب لا يزال يفرق بين ما هو سياسي وما هو ديني - على طريقة العلمانيين اللادينيين وقد تكون فلتة لسان منه أو ربما ضغوط الواقع المعيش - وهو الشيء الذي لا وجود له في القاموس الشرعي الإسلامي، فالسياسي والديني شيئان متداخلان لا تكاد تفرق بينهما البتة. السياسة عندنا لا معنى لها إذا لم تصبغ باللون الشرعي، لهذا سماها فقهاؤنا بالسياسة الشرعية وليس السياسة فحسب.

فقول الكاتب بأن "حمل السلاح في مثل هذا الوقت يعد من وجهة نظر سياسية (انتحار سياسي)". أقول: أي وجهة سياسية يقصد يا ترى؟ هل هي الوجهة العلمانية أم الوجهة الإسلامية؟ فإن كانت الأولى، فالأمر ليس فيه إجماع عندهم بأن العمل المسلح يعتبر انتحار سياسي، إذ أن الكثير من الحركات التحررية في البلدان الغربية العلمانية تتبنى العمل

المسلح كاستراتيجية وكمبدأ لا يمكن الحياد عنه بحال، وعليه تبني مواقفها السياسية وتكسب شعبيتها وقيمتها على جميع المستويات، فهي ورقة قوية لا يمكن الاستغناء عنها بحال، وقد بينت التجارب صحة ومدى جدوائية هذا الاتجاه، في الضغط على حكوماتها واكتساب الكثير من حقوقها بالإضافة إلى اكتساب الشعبية والتجذر في المجتمع كلما صعّدت من عملها المسلح.

(يمكن الإشارة هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى كل من حركة إيتا الباسكية في إسبانيا وحركة إيرا أو الجيش الإيرلندي الجمهوري في إيرلندا الشمالية وبعض الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية).

أما من ناحية الوجهة الإسلامية فالعمل المسلح هو الجهاد في سبيل الله بالمصطلح الشرعي، وهو ذروة سنام الإسلام وأعلى مراتب العمل والحركة بهذا الدين، فكيف يمكننا تسميته بالانتحار السياسي جزافاً وجهلاً ؟؟!!

قديماً وحديثاً أثيرت شبهة إلقاء النفس إلى التهلكة وهو المرادف الشرعي للإنتحار السياسي هذه، ولكن الإسلام بيّن لنا حقيقة من يلقي بنفسه إلى التهلكة، وهو الذي يمتنع عن النفقة في سبيل الله وعن الجهاد. ذلك ما ورد في الحديث الذي جاء عن أبي أيوب الأنصاري حيث فسر لنا المفهوم الحقيقي لكلمة إلقاء الأيدي إلى التهلكة وهي بعدم الإنفاق في سبيل الله واعتزال الجهاد في سبيل الله، وليس التضحية بالنفس وإلقائها وسط العدو وهو موقن بالموت (فهذا قمة الاستشهاد) بدليل إقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمل الصحابي الذي رمى التمرات التي كان يقتات بها في معركة بدر ودخل وسط العدو يقاتل بسيفه حتى قتل، ولم يقل عنه أنه ألقى بنفسه إلى التهلكة أو كما يحلو للبعض اليوم أن يصفوا ذلك بالانتحار أو التهور أو ما أشبه من عبارات التثبيط والجهل بدين الله.

ما ينطبق على الفرد ينطبق كذلك على الجماعة، فالانتحار السياسي الذي تحدث عنه الكاتب لا وجود له في قاموسنا الشرعي ولله الحمد، فالمسلم لا يرتبط بالنصر إلا بحدود ارتباطه بالشرع، فالشرع هو الهدف الأسمى الذي يجاهد من أجله المسلم، حتى وإن أدى ذلك إلى التضحية بنفسه، "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " الحديث.

كما أن العمل المسلح يكون أحياناً مفروضاً على الجماعة الإسلامية من قبل أعدائها فلا تملك والحالة هذه إلا الدخول

في معمعة المعارك دون أن تلقي بثقلها الكلي فيها، رفعاً لبعض الظلم أو تحقيقاً لبعض المكاسب.

وفي كثير من الأحيان تكون النتائج على عكس ما تتمناه الجماعات الإسلامية، وفي هذا حكمة بل حكم لا يعلمها إلا الله، فهو ينصر عباده كيفما ومتى شاء، ويؤخر عنهم النصر أيضاً لأسباب لا نعلمها، لكن الله يعلمها.

فأمام هذه الظواهر لا يملك المؤمن إلا أن يتقبل إرادة الله عز وجل وسنته الشرعية والقدرية، ويرضى بهذه النتائج ثم يحاول قدر الإمكان البحث عن أسباب النصر التي تتوافق وإرادة الله عز وجل، والبحث عن أسباب الهزيمة والفشل ومواطن الضعف لملئها والارتفاع بمستوى التجمع نحو الأفضل.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نجده قد بقي ثلاثة عشر سنة في المجتمع المكي، يحاول أن يدعو قومه بالتي هي أحسن ولم يلمح ولم يرفع شعار القوة ضدهم على طول الفترة المكية، رغم ذلك قوبل بالتكذيب والاستهزاء ثم بالتعذيب والتهجير ومحاولات القتل، حينما علموا وأدركوا مدى خطورة ما يرفعه من مبادئ التوحيد في مواجهة معتقداتهم ومصالحهم المادية. فأعداء الإسلام لا يتوانون عن محاربة أهل الإسلام والتوحيد حتى وإن لم نحاربهم نحن، فمجرد وجودنا معهم يزعجهم ويقذف في قلوبهم الرعب والخوف وهذا يدفعهم إلى محاربتنا ومحاولة استئصال شأفتنا كما يبين ذلك رب العزة: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} وقوله عز من قائل: {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون} التوبة.

فحتى لو لم ننهج نهج الجهاد والعمل المسلح فإن أعداءنا سوف يحاولون القضاء علينا وعلى دعوتنا، اللهم إلا إذا داهناهم وتنازلنا عن جوهر دعوتنا ورضينا أن نكون طرفاً في اللعبة السياسية، فإنهم سيغضون عنا الطرف بحذر، ولن نجني حينئذ سوى الذل والصغار وهو الحصاد المر الحقيقي.

أما قول الكاتب : 1- قلة الوعي بين معظم أبناء الأمة."

أقول: أي وعي يقصد يا ترى؟ أهو الوعي بدين الله؟ أم هو الوعي بضرورة العمل المسلح (الجهاد في سبيل الله)؟ أم هو الوعي بأن الواقع الذي نعيش فيه هو واقع مرتد جاهلي وكافر؟ أم ماذا؟

مهما يكن الجواب، فالفئة المجاهدة لا تسيّرها الأمة، بل يسيرها شرع الله عز وجل، فالأمة كما تعلمون غارقة في جهلها وبعدها عن دين الله وعن الكثير من المفاهيم الصحيحة في هذا الدين، وعلى رأس هذه المفاهيم: مفهوم الجهاد في سبيل الله، ولكي تستطيع الحركات الجهادية رفع هذا الجهل عن الأمة لابد من امتلاك إمكانيات الدولة لا إمكانيات الحركة أو الجماعة، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بعد التمكين في الأرض، لأن الحكومات الطاغوتية بما تملكه من إمكانات الفساد والتمييع الهائلة تحول بين هذه الحركات وبين الأمة وتقف حجر عثرة بينهما.

بينما الجهاد أو العمل المسلح، يعتبر في حد ذاته وسيلة لتوعية هذه الأمة وإيقاظها من غفوتها ومن ثم الالتحاق بصفوف الحركات الجهادية حينما تلمس مدى صدق وثبات هذه الحركات في ساحة المعركة ضد الحكومات المرتدة، بالرغم من قلة عدتها وعددها وبالرغم من كثرة خسائرها المادية والبشرية في هذه المعارك.

فقلة الوعي ليس مبرراً لإيقاف العمل الجهادي، بالعكس هو مبرر لتصعيد هذا العمل قصد توعية الأمة ومحاول إنقاذها من هذا الجهل المفروض عليها فرضاً من قبل الحكومات الطاغوتية وطوابير العلماء المنافقين والمرتدين.

فحينما ترتفع وتيرة الجهاد في الساحة، يتساءل الكثير من الناس عن ماهية هذا الجهاد وأهدافه ومراميه، وحينئذ تخرج الحركة المجاهدة بإعلامها وفعالياتها في الساحة لتشرح للناس أهدافها وغاياتها، بأن هذا الجهاد هو من أجل تحريرهم من براثن الحكام المرتدين، ونقلهم من دائرة الجاهلية حيث الذلة والصغار إلى دائرة الإسلام حيث العزة والكرامة.

قول الكاتب :

(2- عدم وجود علماء معتبرين بين أفراد الأمة يتبنون مثل هذا الطرح.)

أقول: هذا دليل على أن كاتبنا الموقر لا يدري ما يجري في الساحة، ولو أعطى لنفسه مهملة تفكير قصيرة لما تجرأ على قوله هذا، أم ربما لا يقرأ ما يكتب هؤلاء العلماء ولا ما يلقونه من محاضرات ودروس قد امتلأت بها الساحة طولاً وعرضاً.

عدد العلماء المعتبرين الذين يتبنون وينادون بهذا الطرح في ازدياد مستمر ولله الحمد والمنة، ولم يعودوا يُعدّون على رؤوس الأصابع كما كان الحال في بداية السبعينيات مثلاً أو

لنقل حتى بداية أو أواسط الثمانينيات، فهم اليوم كثر ومنتشرون داخل بلداننا وخارجها، لا أظنك تحتاج إلى سرد أسمائهم، يمكنك الاكتفاء بمن فرض حضوره على صفحات الأنترنت، فجهلهم وجهل ما يطرحونه من فكر سلفي جهادي يعدّ وصمة عار، فلا تكن منهم أرجوك.

أما الحركات الجهادية العاملة في الساحة فما من واحدة منها إلا ولها قيادات شرعية وعلماء ترجع إليهم في الفتوى وفي الاستشارة معهم في كل ما يتعلق بأعمالها الجهادية وعلى جميع المستويات، سواء علماء في داخل هذه الحركات أو خارجها، فكل الجماعات الجهادية تمثل في الأخير جسداً واحداً بالرغم من أنها تعمل في مناطق متعددة.

(3- رفض هذا الطرح من قبل شريحة واسعة من أبناء الأمة.)

أقول: ما دليلك على هذا الكلام يا رجل؟ هل قمت باستطلاعات الرأي في بلداننا؟ أم أنه مجرد ترديد لما تنشره أبواق الطواغيت من علماء السوء والصحافيين العملاء والعلمانيين الحاقدين على ديننا وأمتنا؟ ثم لنفرض أن هذا الطرح ترفضه بالفعل شريحة واسعة من الأمة، فهل أمام هذا الواقع تقف الحركة المجاهدة مكتوفة الأيدي في انتظار أن تقتنع هذه الشريحة الواسعة بالطرح الجهادي أو بالطرح الإسلامي بصفة عامة؟ في هذه الحالة لن يكون أمام الحركة الإسلامية إلا أن تلجأ إلى العمل السياسي وإلى صناديق الاقتراع لكي تتحاكم إلى هذه الأمة الجاهلة، هل ستقبل الإسلام أم لا؟

هل تعطي الشرعية لهذه الحركات المجاهدة لكي تمارس عبادة الجهاد من أجل تطبيق الإسلام أم لا؟

ما هذا الغباء وما هذا الاستهزاء بدين الله!! وما هذا الصغار يا عبد الله !! فمنذ متى كان يلجأ الأنبياء والمرسلون والدعاة إلى الله إلى أممهم لكي يفتوا لهم بشرعية أعمالهم؟؟ منذ متى كان الراعي يقاد من طرف القطيع؟؟ ليس هذا استهتار بقيمة هذه الأمة، ولكنها السنة يا أخي، السنة أن يكون المحق هو الذي يهدي المخطئ وليس العكس، أن يكون العالم هو الذي يبين للجاهل وليس العكس، أن يكون البصير هو الذي يقود الأعمى وليس العكس. فما الذي تبدل في سنن الله يا ترى؟ أم أنها زلة وكبوة أخرى؟

(4- عدم وجود إمكانيات لدى القلة التي تتبنى هذا الطرح لأحداث تغيير سريع كيلا يتأذى المسلمون بحرب أهلية طويلة الأمد تقضي على مقدرات الأمة السياسية والاقتصادية.)اهـ.

أقول: يقول الله عز وجل وهو يحض المؤمنين على بدء عبادة الجهاد {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون} الأنفال 60.

فشرط الدخول في المعركة هو الاستعداد في حدود الاستطاعة، ثم إن الحركة تكسب قوتها وتنمي كفاءاتها خلال المعركة مع أعدائها، فهذه المعارك هي التي تبين لها مواطن ضعفها، كما أنها تصفي صفوف هذه الحركات من المنافقين وضعاف النفوس قبل الذهاب بعيداً في المسيرة الجهادية، وهذه كلها مكتسبات لا يمكن أن تحصل عليها هذه الحركات لو أنها بقيت في بروجها العاجية مكتفية بالدعوة والوعظ الأعرج المنكسر الجناح.

ثم ألم تقرأ قوله تعالى {وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين} وقوله تعالى {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون} الأنفال 65. ثم بعد التخفيف يقول ربنا عز وجل {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين} الأنفال 66.

أما قوله: (ثم أن غالبية الشعوب المسلمة ترفض توجيه سلاحها ضد أبنائهم وإخوانهم في جيوش الأنظمة... فهل تم حساب ذلك عندما أعلن البعض الجهاد المسلح ضد حكومات العمالة في البلاد العربية؟)

فالجواب عليه مثل ما سبق، بحيث أن هذا كلام يردده الأعداء ويحاولون ترسيخه كحقيقة داخل مجتمعاتنا، من أجل تغليب رابطة القرابة الجاهلية على قرابة الدين والعقيدة، والحقيقة أن من ينتمي إلى هذه الجماعات الجهادية قد تجاوز هذه الروابط الجاهلية وكسرها وكفر بها، واستبدلها برابطة العقيدة القوية التي تفوق كل الروابط الأخرى الجاهلية.

ثم اعلم أخي الكريم أن شعوبنا المقهورة قد ذاقت الأمرين على أيدي هذه الجيوش العميلة من مخابرات وشرطة وعسكر، وهي تتمنى اليوم الذي تنطلق فيه شرارة الجهاد في بلدانها لكي - على الأقل - تنتقم لنفسها ولذويها ولأعراضها، ثم من قال لك بأن هذه الحركات الجهادية لا تمتلك الأنصار والمعاونين من أبناء الشعب وهم ينتظرون أوامر هذه الأخيرة لكي ينفذوها، أم أنه لابد من الإعلان على رؤوس الأشهاد بأنك

تنتمي إلى حركة جهادية لكي لا توصف بأنك متقاعس أو غير متفق مع الطرح الجهادي؟!

قول الكاتب :

(هل للجماعات الجهادية وجود قوي ومؤثر بين أبناء الشعب المسلم...؟ الجواب بطبيعة الحال وللأسف الشديد... لا.)

وفسر أكثر فقال: (فجميع الحركات الجهادية أفرادها موزعون شذر مذر في دول العالم - الأوروبية منها خصوصا - بالإضافة إلى أفغانستان وباكستان وغيرها من الدول. لكن للأسف وجودهم السياسي والإعلامي في دولهم يكاد يكون معدوما تماما. والحقيقة أن هذا نذير فشل... بل هو الفشل بحد ذاته. فالسمك إن خرج من البحر يموت... والشجرة إذا قلعت من جذورها تذبل وتفنى. ونفس الشيء ينطبق على أي حركة شعبية كانت أم سرية تسعى لإسقاط النظام في بلد المنشأ.) اهـ.

أقول : كلام فيه الكثير من الجهل بحال هذه الحركات، وإن كان في طياته بعض الصدق، لكنه نسبي لأنه لا ينطبق على جميع هذه الحركات بل ربما على بعضها فقط وبشكل جزئي لا كلي.

اعلم أن العمل الجهادي يمر بعدة مراحل، مرحلة التأسيس ثم مرحلة التوسع الموزون وهذه يتم في مرحلة سرية تامة، بعدها تمر الحركة إلى تأسيس البنيات التحتية وتسطير برامج العمل من منهج وتكوين خلايا العمل على جميع المستويات، وهذا كله يتم كما قلت في سرية، بعيداً عن الضوضاء الإعلامية.

أما الجانب العلني في العمل الجهادي فهو الدعوة والاستقطاب ونشر الفكر والمنهج في أوساط الناس، قصد التأثير في هذا المجتمع ومحاولة توظيف طاقات الناس المبعثرة داخل التنظيم. وربما تنتقل الحركة الجهادية إلى تصعيد بعض أعمالها خلال فترة الإعداد هاته دون أن تكون هي الهدف الأكبر والرئيسي.

أما عن حجم شعبية هذه الحركات داخل مجتمعاتنا فالأمر ليس بهذه السهولة، إذ أن جل الأفراد المنتمون يظلون غير معروفين لأسباب أمنية وتنظيمية، اللهم إلا بعض الأفراد الذين يقتضي عملهم الظهور بمزاولة بعض الأعمال الدعوية الظاهرة، أما الغالبية فموجودون لكنهم غير معروفين، وهذا هو الفرق بين الحركة الجهادية والحركات الدعوية الإصلاحية

التي تعتمد على الأعمال البارزة وعلى الكم دون الاهتمام بالكيف.

كما أود أن أذكر هنا في هذا المقام، أن قيمة حركة ما لا توزن بعدد أعضائها بقدر ما توزن بميزة هؤلاء الأعضاء، وهذه طبيعة هذا الدين أصلاً، إذ أن القلة دائماً هي التي تحمل هذا الدين في البداية فتضحي في سبيله وتمتحن وتبتلى فتصبر وبعد ذلك يأتي الأنصار فيمكّن الله لها في الأرض وعندئذ، وعندئذ فقط يدخل الناس في دين الله أفواجاً.

أما عن تواجد أفراد هذه الحركات الجهادية خارج بلدانها فهذه ليس عيباً، لا من الناحية الشرعية ولا العقلية - حتى من وجهة نظر سياسية حسب تعبير العصر- يعتبر عملاً فاعلاً ونافعاً لهذه الحركات، بحيث يمكن لهؤلاء الأعضاء أن يتحركوا في مأمن وينشروا قضيتهم من داخل هذه البلدان الآمنة، ما دام أنه ليس هناك أي تنازل عن المبادئ وعن المنهج.

فهذه يعتبر هجرة وهي داخلة في مرحلة الإعداد، وقد سبقنا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أرسل ما يقارب من ثلثي أصحابه إلى الحبشة بحثاً عن المكان الآمن للدعوة، وبعدها بثماني سنوات انتقل هو بنفسه مع باقي أصحابه إلى المدينة المنورة لكي يقيم فيها دولته. لا يجب أن يفهم من كلامي أن على الحركات الجهادية أن تنتقل إلى الخارج لكي تقيم دولتها الإسلامية هناك، ولكن عملية الانتقال والهجرة لابد منها كوسيلة للإعداد ونشر المنهج والمحافظة على بعض الأفراد من بطش الأعداء .

أما مسألة نقل المعركة إلى الخارج فهي مسألة تخص الحركة وهي وحدها التي تعلم إيجابيات وأسباب هذا النقل للمعركة، إلا أنه يجب أن يّعرف أن الأنظمة المرتدة في بلداننا لها ارتباطات وطيدة مع هذه الدول التي نّقلت المعركة إليها، ولها مصالح وأنشطة لا يمكن أن تستغني عنها داخل هذه البلدان الموالية، وضرب هذه المصالح يعد إضراراً بالغاً وتحد سافر لهذه الدول مجتمعة، ويعتبر تعطيل لهذه المصالح وإضعاف للعدو. على أن تتحمل الحركات الجهادية مسؤولية أعمالها هذه وتستطيع أن تسخرها لخدمة أهدافها العامة.

وضرب الكاتب مثلاً للقدوة التي يجب على الحركات الجهادية الاقتداء بها في جهادها، وهي "الجيش الجمهوري الإيرلندي" وكونها لم تنقل المعركة إلى الخارج، وهو قياس مع الفارق للأسف الشديد، بحيث أن واقع إيرلندا يختلف عن واقع بلداننا على جميع الأصعدة، بالإضافة إلى اختلاف المعتقد الذي تنطلق منه هذه الحركة الكافرة مقارنة مع معتقدات الحركات

الجهادية عندنا، ثم كيف حكم الكاتب على أن المعركة قد انتقلت إلى الخارج بمجرد أن بعض العمليات العسكرية قد نفذت خارج بلداننا والتي لها ارتباط مباشر بالمعركة في الداخل، فهذا يعتبر امتداد للمعركة وليس نقلا لها.

ثم قال فيما بعد -وهو يعيب على هذه الحركات ما قامت به من عمليات عسكرية سواء في الداخل أو الخارج -:

(لكن الحركات الجهادية قامت بأعمال غير مدروسة بل وغير مفهومة على الإطلاق.

1- تفجير السفارة المصرية في إسلام آباد في باكستان...؟

2- تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي وتنزانيا...؟

3- محاولة اغتيال كلينتون في الفلبين...؟

4- قتل ستين سائح في الأقصر...؟

إذا كانت الحرب هي مع النظام... فلماذا يتم إقحام أطراف أخرى في المعركة ؟) اهـ.

أقول: اعلم أخي أن من أهداف الجهاد في الاسلام هو قذف الرعب في قلوب الأعداء ومحاولة تقويض أعمدته وأوتاده وأجنحته أينما كانت، والدليل على أن هذه العمليات قد قضّت مضاجع الطغاة، هو ردود فعلهم وإصابتهم بالحيرة والخوف والهلع، كما أنها تبين وتفضح العلاقة والولاء الموجود بين هذه الأنظمة الطاغوتية وبين هؤلاء الكفار في الخارج، بل ليعلم الناس أن كل سياسات القمع والتكفير والإفساد التي تنفذها هذه الحكومات المرتدة إنما تطبخ من قبل أوليائهم في الخارج.

أما قولك الزائد :

(وإذا كان الهدف مثلا تحرير السعودية من الأمريكان ... هل يتم ذلك بمحاربتهم في كينيا وتنزانيا ؟ وهل إذا احتلت فرنسا تونس... هل يكون التحرير عن طريق تفجير المكتب الثقافي الأرجنتيني في موزمبيق؟؟؟.)

فهو استهزاء أكثر مما هو تساؤل بريء، ولا يستحق الرد سوى أن أقول لك، اتق الله في جهد إخوانك ودمائهم التي يقدمونها في سبيل الله، وليس عدم فهمك وإدراكك لما يفعله هؤلاء المجاهدون هو الذي سيدفعنا إلى إحباط هذه الأعمال الجهادية واعتبارها غير ذي جدوى!!

وختمت مقالك بهذا الاستنتاج الغريب:

(كل ما ذكرت سابقا أدى إلى عدم قبول الشعوب المسلمة لطرح الحركات الجهادية.. بل أوجد تياراً معارضاً.)

والرد على هذا هو ما قاله الأخ أبو الحسين من قبل: أين دليلك على صحة هذا؟ أما نحن فلا نرى سوى عكس ما ذهبت إليه، إذ أن شعوبنا متعطشة إلى العمل الثوري الجهادي بعدما يئست من الحلول الأخرى، وهي الحلول السياسية والتسابق إلى كسب مقاعد في البرلمانات الكفرية، وخير دليل على هذا ما حدث مؤخراً - من خيبة أمل عارمة - في تركيا والأردن وقبل ذلك في الجزائر، حيث لم تحقق الحركة الإصلاحية هناك سوى حصد المزيد من الهزائم والسراب والتهميش، ولا زالت قناعة الشعوب بالحل الجذري والتصعيد الجهادي في تصاعد مستمر.

وكل من ينكر هذا أو يحاول إقناع نفسه بعكسه فهو بحاجة إلى نظارات خاصة أو إلى رفع الغبار عن عينيه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وإلى اللقاء الثالث بحول الله مع دحض شبهات جديدة.

شبهة :" ضرورة إعداد برنامج دولة مسبقاً "

قبل التطرق إلى مسألة إعداد برامج تسيير الدولة المرتقبة، وإعداد الكوادر المختصة التي ستقوم على تطبيق هذه البرامج، نقف عند مسألة البديل المطلوب: العلماء أو الحركات؟ هذه ما طرحه الأخ الكاتب ويطرحه الكثير من الناس اليوم.

والجواب على هذا السؤال يدفعنا إلى الجواب على السؤال المماثل: ما الفرق بين العلماء والحركات؟ أو بعبارة أخرى ما هي العلاقة بين العلماء والحركات؟ كمن يسأل عن العلاقة بين الرأس والجسد، أو الفرق بينهما. العلماء هم الرأس والحركة هي الجسد، هذا باختصار شديد.

أما قيمة هؤلاء العلماء ومدى قدرتهم على تسيير العمل الجهادي وتوجيهه، فهذا أمر نسبي ومتفاوت بين عالم وآخر، والحركة الجهادية لا يشترط فيها أن تحوز على علماء من طراز خيالي حتى تبدأ جهادها ضد الأنظمة المرتدة، بمعنى آخر: إذا لم يوجد هذا النوع من العلماء في صفوفها أو من يؤيدونها في عملها الجهادي، فلن توقف عملية الجهاد لانتظار هؤلاء العلماء بل تبدأ عملها وحركتها بما تملكه من علم ومن رصيد ومراجع حتى وإن كانت غير منتمية إلى صفها.

فالجهاد لا يوقفه أحد، كما أن الجهاد هو الذي يكوّن مثل هذا النوع من العلماء، أو ما سماه سيد قطب رحمه الله - فقه الحركة - بدلاً من فقه الأوراق، وأنا أسميهم: علماء الحركة بدلاً من علماء الورقة.

فهذا هو الطراز المطلوب، علماء ربانيون يتقدمون الصفوف في التضحية والبذل والعطاء، وفي الزهد والشجاعة والإقدام، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا همّ لهم سوى إرضاء ربهم جل وعلا، حتى وإن كلفهم ذلك حياتهم.

وهؤلاء لا يمكن لهم أن يتربوا في أجواء الرخاء والترف والبعد عن غبار المعارك ومتطلبات الحركة ومخاطرها، بل هم نتاج الحركة الجهادية الدائمة، فلا يمكننا التحدث عن علماء قياديون غير هؤلاء، حتى وإن كان زادهم العلمي متواضعا، فإن الله عز وجل سيفتح عليهم من عنده {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} وقد فسر السلف الصالح هذه الآية ومنهم الإمام أحمد على أن المقصودين في الآية هم أهل الثغور، أي المجاهدون في سبيل الله.

ما ينطبق على العلماء ينطبق من باب أولى على البرامج والمناهج التي ستسير بها الدولة الإسلامية المرتقبة، وكذلك الأطر والفعاليات المختصة التي ستسهر على تنفيذ هذه البرامج وعلى تسيير الدولة القادمة، وقد أحسن الشهيد سيد قطب الحديث عن هذا الأمر حينما تطرق إلى فقه الأوراق وفقه الحركة، وليراجع في تفسيره "في ظلال القرآن" أو في ما جمعه أحمد فائز في كتابه "طريق الدعوة في ظلال القرآن".

وهذا يعتبر جواباً لما طرحة الأخ من شروطه الخمسة التي لابد أن تتوفر في الحركة الجهادية البديلة للأنظمة الحالية:

وجود برنامج سياسي - وجود برنامج اقتصادي - وجود برنامج تربوي - وجود برنامج دفاعي وأمني - وجود قاعدة شعبية عريضة مؤيدة.

صحيح أن هذه الشروط لم تتوفر بعد في جل هذه الحركات الجهادية، وهي لم تدّع العكس ولا ادّعت أنها جاهزة من الآن لاستلام الحكم في بلداننا، إنها في مرحلة الإعداد وفي مرحلة الجهاد من أجل إيجاد هذه البرامج والأطر التي ستقوم على تنفيذ هذه البرامج، وليس من العدل الحكم على هذه الحركات الجهادية بالنقص، وكأن حكوماتنا القائمة تمتلك برامج ناجحة في جميع هذه الميادين!! فالناظر إلى واقعنا يلحظ أن هذه الحكومات لا زالت تتخبط خبط عشواء، ولا زالت تنتقل من

فشل إلى فشل ومن سيء إلى أسوأ بالرغم من الإمكانيات المادية والبشرية الهائلة التي في حوزتها، ولكن وبسبب بعدها عن النهج الرباني ومحاربتها له، فإن الله عز وجل يعميها عن الحق والصواب، ويجعل كل ما تقوم به من جهد وتخطيط يذهب سدى ولا يزيدهم إلا ضلالاً وتيهاً وعمياً وشقاءً مصداقاً لقوله تعالى {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً وسنحشره يوم القيامة أعمى}، أما عباده المجاهدين المؤمنين فإن الله عز وجل سيهديهم ويصلح بالهم، وسوف يبارك في جهدهم حتى وإن كان متواضعاً، كما سيسخّر لهم جنوده الأخفياء الأتقياء ليكونوا خدماً لهم ولدينه {وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر}.

وقد كبّ الكاتب في ختام مقاله هذا جام غضبه على الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، مقلداً في ذلك ما يروجه أعداء الجهاد في إعلامهم الفاسق من أن المجاهدين يقتلون الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال، وهم ما قاموا إلا ليحموا هؤلاء وينقذوهم من بطش الكفار والمرتدين استجابة لنداء ربهم جل وعلا {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً}، ثم إن كاتبنا الموقر نسي أو تناسى أن القاصي والداني يعلم أن النظام العسكري في الجزائر هو الذي قام ولا يزال بهذه المجازر الجماعية في حق الشعب الجزائري المسكين، خاصة أهالي المجاهدين وكل من يتعاطف معهم، بهدف استئصال كل جذر من جذور الإسلام في أرض الجزائر المجاهدة، إنها حرب إبادة تشهدها أرض الجزائر، فبعد أن عجزت الجيوش العلمانية منذ أكثر من ثلاثين عاماً من التغريب وفرض ثقافة الكفر والفسق والفجور على تذويب هوية الشعب المسلم وتغييب عقيدته، ها هي جيوشه قد عادت هذه المرة بالدبابات والقنابل والطائرات وبالأسلحة الكيميائية أيضاً قصد محو هذا الشعب الأبي من الخارطة الج غرافية، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فسخّر أولياءه من الجماعات المجاهدة هناك، وعلى رأسها الجماعة السلفية للدعوة والقتال التي تميزت بتوجهها السلفي الجهادي، وعادت تسطر ملامح العز وتعيد إلى الجزائر أيام الجهاد المبارك، من على جبال الأوراس، ولا زال الحبل على الجرار، { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }.

شبهة : تعدد الدول = تعدد الخلفاء

سؤال لا يمكن الإجابة عليه بسبب بسيط وهو أنه سابق لأوانه، فربما لن يطرح أصلاً في الواقع الفعلي.

فقد يبدأ الجهاد في عدة دول، ولكن قد ينتصر في واحدة، مما سيجعل هذه الأخيرة مضطرة لإعلان الجهاد على الدول المجاورة لفتحها بمساعدة الجماعات المجاهدة هناك، هذه الأخيرة سوف تقدم البيعة للخليفة الأول وسوف يعين الخليفة هذه الدولة الجديدة ولاية تابعة للخلافة الأم، وهكذا...

هذا جزء من سيناريو محتمل الوقوع، وقد وقع بالفعل في تاريخنا الإسلامي يوم كانت الخلافة منحصرة في الجزيرة العربية لكن سرعان ما اتسعت دائرتها، وكان الخليفة يعين على كل ولاية من الولايات الإسلامية الجديدة عاملاً له تابع للسياسة العامة التي تطبقها دولة الخلافة الأم.

الفرق بين واقعنا اليوم وبين واقع الأمس هو أن بالأمس كان هناك دولاً كافرة كفراً أصلياً واليوم لدينا دولاً كافرة كفراً طارئاً أو مرتدة، وفي نهاية المطاف حكمها واحد، وهو الجهاد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

أما كون الحل في الرجوع إلى العلماء المخلصين من علماء الأمة الأثبات، فهذا حل لا يقبله عقل ولا نقل، إذ كيف يمكن لهؤلاء - رغم إخلاصهم وعلمهم - بتحويل مجتمعاتنا الجاهلية وأنظمتها المرتدة من حالة ردة وكفر إلى حالة إسلام وإيمان، بدون قوة مرافقة لهم تحمي الحق الذي يحملونه. فأهل الحديث هم أهل العلم الجهاد وهما الصفتين الرئيستين التي تتحلى بهما الطائفة المنصورة التي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي بشرنا أن النصر والخلاص سيكون على أيديها .

وليعلم الذين يدّعون أن دماء وجهود المسلمين تذهب سدى في خضم هذه المعارك التي يخوضونها اليوم، ألا فليعلم هؤلاء أنهم لم يفهموا من دين الله شيئاً، ولم يفهموا معنى الجهاد في الإسلام، فالإسلام لا ينتصر بمجرد الدعوة والوعظ والإرشاد أو بمجرد جمع الجموع المجهولة لنبني عليها بناء أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنه من ثقل ما فيه من تبعات، فلا بد من عملية الجهاد لتصفية الصفوف، ولابد من تقديم الشهداء لتعبيد الطريق، ولابد من إسالة دماء زكية طاهرة لسقي شجرة الإسلام السامقة الضاربة الأطناب، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وليعلموا أن هناك شيء اسمه الشهادة في سبيل الله، وهي أسمى ما يتمناه المؤمن في هذه الحياة، وهذه المنة لا يمكن الحصول عليها إلا في عالم الجهاد والقتال، فأني لهؤلاء الوعاظ المسالمون أن يؤتوها؟ أم أنهم يريدون أن ينسخوها

من قاموسنا الإسلامي يا ترى؟ الشهادة اصطفاء من الله، لمن يريد، ولمن يحب {إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين} آل عمران 140.

هذا والله تعالى أعلم، إن أحسنت وأصبت فمن الله وحده فله الحمد والمنة، وإن زغت وأخطأت فمن نفسي القاصرة ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والباب مفتوح على مصراعيه لأخوتي الأحبة للتعقيب والإضافات وللتوسع والله الموفق وهو يهدي السبيل.

هذا ما سمح المقام بمناقشته وعرضه من بين شبهات القوم التي يثيرونها حول فريضة الجهاد، ذروة سنام هذا الدين وحاميها، قد نعود يوماً إلى عرض المزيد من الشبهات ودحضها بالأدلة الشرعية والعقلية، حتى لا يبقى هناك ثمة شكوك ولا غموض حول فرضية هذه الفريضة الغائبة الحاضرة العائدة بقوة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، والحمد لله رب العالمين .

- أبو سعد العاملي -